مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (32) العدد (2)2010
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (32) No. (2) 2010

العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة في ريف اللاذقية (الأعراس في مقاصف – التعزية في خيم)

الدكتور أديب عقيل *
أمين دياب **

(تاريخ الإيداع 23 / 4 / 2009. قبل للنشر في 28 / 12 / 2009)

□ ملخّص □

تتنوع العادات الاجتماعية الجديدة بين السطحية العَرَضية (كالموضة) وبين المستمرّة والمرافقة لتغيرات المجتمع، كالعادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة في ريف اللاذقية، التي يتم فيها قيام الأعراس في مقاصف خارج القرى، وقيام التعزية في خيم خارج المساكن، قامت هاتان العادتان منذ عدة سنوات، وهي لا تزال تلقى القبول والاستحسان.

يتضمن البحث توضيحاً لمفهوم هاتين العادتين الاجتماعيتين المستحدثتين، وعرضاً لعواملهما النفسية الاقتصادية والاجتماعية كما يبين وظائفهما الاجتماعية والاقتصادية والإرشادية والتجديدية والترويحية، وينتهي البحث إلى عرض مظاهرهما كما تتجلى أمام سكان القرية وغيرهم.

فالبحث دراسة موجزة في تكون العادات الاجتماعية .

الكلمات المفتاحية: العادة، التعاون.

* أستاذ – قسم علم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق –دمشق – سورية.
** طالب دراسات عليا (دكتوراه) – قسم علم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق – دمشق – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (32) العدد (2)2010
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (32) No. (2) 2010

The New-fashioned Cooperative Social Habits In Rural Lattakia (Weddings in Buffets and Condolences in Tents)

Dr. Adib Akeel*
Amin Diab **

(Received 23 / 4 / 2009. Accepted 28 / 12 / 2009)

□ ABSTRACT □

New social habits vary between superficially accidental habits andcontinuous habits that accompany the society changes such as the new-fashioned cooperative social habits in Rural Latakia. There, weddings are held in buffets outside the villages and the condolences are held in tents outside houses.

These two habits have risen for many years and they still get the acceptance and satisfaction.

This research includes an explanation for the concept of these two new-fashioned cooperative social habits, and a presentation of their social, economic and psychological factors. In addition, it shows their recreational, innovative, guiding, economic and social functions. The research ends with presenting the aspects of these habits as they appear before the rural people and others.

Keywords: Habit, Cooperation.

* **professor, department of sociology, faculty of arts and humanities, Damascus university, Syria.**
** **postgraduate student, department of sociology, faculty of arts and humanities, Damascus university, Syria.**

مقدمة:

العادات والتقاليد والقيم من القواعد الأساسية لقيام المجتمع واستمراره، ولهذا تم اختيار (العاداتHabits) من بينها كطرف في موضوع بحثنا ،كما ضم الموضوع أيضاً مفهوم (التعاون Cooperation)، الذي قامت عليه أنشطة المجتمعات البشرية البدائية والمعاصرة حتى الآن.

ويأخذ التعاون أشكالاً متعددة من مجتمع إلى آخر، ومن عصر إلى آخر أيضاً ومن جمع العادات والتعاون المعاصر تم تركيب موضوع البحث ليصبح: (العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة)، كما تم تحديد مكانها في ريف اللاذقية.

لقد توزعت أفكار البحث على عناوين تحمل مفهوم العادات وخصائصها، ثم عواملها واتجاهاتها ومظاهرها، وتم التمييز بين العادات في عمرها بين القديمة والجديدة التي توزعت إلى الوقتية والمستمرة، كما تم التمييز بين العادات في درجة سلطتها وقبولها.

ثم انتهى البحث إلى النتائج والمناقشة والاستنتاجات والتوصيات.

أهمية البحث وأهدافه:

إن الاتصال الحضاري المستمر بين كافة المجتمعات الريفية والمدينية في القطر العربي السوري، وفي كافة الأقطار العربية، ووصول كافة وسائل الاتصال العصرية إلى هذه الأرياف، خلخل كافة العادات القديمة وساعد على وجود عادات عصرية جديدة، ومن هذه العادات الجديدة ظهرت عادة الأعراس في المقاصف عادة التعزية في خيم عند أهالي ريف اللاذقية.

إن دخول عادات جديدة إلى هذه الأرياف تحاكي عادات أهل مدن محافظة اللاذقية، قرّب بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة، ليتجانس هذان المجتمعان، وهذا ما تسعى إليه كل الخطط التنموية الشاملة في القطر العربي السوري. ولهذا تعتبر دراسة العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة في ريف اللاذقية ذات قيمة علمية هامة من جهة، وقيمة عملية عندما تقوم الإجراءات التنموية بتعزيز الجوانب الإيجابية في هذه العادات .

و لقد تم حصر أهداف البحث في هدفين رئيسين :

1) هدف قريب (مباشر). 2) هدف بعيد (غير مباشر) .

1) الهدف القريب (المباشر): الإطلاع المباشر على حالة عادتين من هذه العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة في ريف اللاذقية من خلال مشاهدتها المباشرة وقراءتها في النظرية الاجتماعية .

2) الهدف البعيد (غير المباشر): ويتفرع إلى جانبين :

أ- الجانب النظري: يقوم البحث بوصف وتحليل هذه العادات ثم تضاف معطيات التحليل إلى مواضيع النظرية الاجتماعية، فموضوع البحث هو دراسة موجزة في تكون عادتين من العادات الجمعية المعاصرة.

ب- الجانب التطبيقي: تقوم هذه العادات بوظائف نفسية واجتماعية واقتصادية .

طرائق البحث ومواده:

وضع البحث هدفاً مباشراً وهو الاطلاع على الحالة التي توضعت عليها عادتان من هذه العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة، فاستوجب هذا اعتماد طريقة دراسة الحالة في علم الاجتماع، التي يمكن بوساطتها وصف هذه

العادات المذكورة وتحليل خصائصها ووظائفها، بل تساعد هذه الطريقة على استقراء الاتجاه الذي تسلكه هذه العادات في استمرارها إلى مستقبلها.

وتشمل مواد البحث العناوين التالية :

1- مفهوم العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة وصفاتها.

2- عواملها .

3- وظيفتها واتجاهها .

4- مظاهرها والإجراءات التي تتم فيها .

ويتم عرضها بما يلي :

1) مفهوم العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة في ريف اللاذقية وصفاتها:

العادة في معجم اللغة جمعها عادات وعوائد، وعاد وعيد: ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مراراً متكررة. (المعلوف، 2001).

أما مفهوم التعاون فهو: " عملية اجتماعية اقتصادية واكبت مختلف مراحل تطور المجتمعات واتخذت أشكالاً مختلفة ومتنوعة، ويسعى الأفراد والجماعات إلى توحيد جهودهم وطاقاتهم وإمكانياتهم في سبيل تحقيق هذه الأهداف المشتركة في رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي عن طريق الاتفاق مع بعضهم ".

ويعمل التعاون بأبعاده الاجتماعية والاقتصادية على تطوير المجتمع، وطبع العلاقات الاجتماعية بطابع قوامه المسؤولية الجماعية التي تساهم في عملية التحولات الاقتصادية الاجتماعية، كما يعد ميكانيزما حقيقية في عملية التغير يؤثر في البيئة الاجتماعية، ويطور العلاقات الاجتماعية.(الأخرس، 2000)

ونشأ التعاون منذ نشوء المجتمع البشري، أي في النظام المشاعي البدائي، عندما كان الناس عاجزين أمام الطبيعة وكان الإنتاج يعتمد بدرجة كبيرة على التعاون البسيط بين المنتجين، وعندما كانت العادات الإنتاجية وتجربة الناس لا تزال قليلة للغاية، وكان تبادل العادات والخبرة يلعب دوراً هائلاً في تطور المجتمعات. (جامعة لومومبا، 1978) .

ثم نما التعاون وتجسد في جمعيات تعاونية معاصرة كالجمعية التعاونية الزراعية في جمهورية مصر العربية و(الجمهورية العربية السورية) التي كان لها الدور الأساسي في تحويل العملية الإنتاجية للحائزين. (عودة، 1979).

مفهوم العادات الجمعية: العادة الجمعية إجراء تتبعه الجماعة ويتصف بأنه ظهر بالتدريج دون رغبة صريحة في أن يصنع، ودون سلطة رسمية لإعلانه أو تطبيقه أو حمايته. إن العادة الجمعية يساندها الميل العام نحو قبولها والعادة الجمعية هي الأكثر تلقائية من بين قواعد السلوك الاجتماعية ... وفي الغالب أشدها إجباراً، وتتصف هذه العادات بأنها طرق للتصرف وتأخذ بالظهور بأساليب مختلفة، منها المصادفة والمحاولة والخطأ والتجربة. وعندما يتم اصطناعها لا يبقى إلا إتباعها وقبولها ببساطة دون تعرض لأي قهر، ضمن الآداب الاجتماعية العامة، وهي تضعف وتختفي بنفس الكيفية أيضاً أي دون إلغاء رسمي، ولا يلاحظ اختفاءها إلا بعض كبار السن الذين يذكرون الماضي على الدوام. (Makiver ،1961) .

معنى العادة المستحدثة: العادة المستحدثة ما يقره المجتمع من تغير متتابع يتصل بأحد موضوعات العادات الجمعية، وتحدث تغيرات العادة المستحدثة في صورة تتابع منتظم في الغالب أو (دورة العادة المستحدثة) – كما تسمى أحيانا –. (Makiver ،1961)

تختلف العادة المستحدثة عن العادة الجمعية من حيث قدرة الثانية على البقاء زمناً طويلاً وصلاتها القوية بحياة الجماعة الداخلية ومزاجها وصفاتها التقليدية، وأما العادة المستحدثة فهي غير تقليدية وضد البقاء، وهي تضبط نواحي السلوك المختلفة ومظاهره وبوجه عام النواحي الأكثر سطحية التي يسهل انفلاتها من سيطرة العادة الجمعية.

وتتمثل أقوى مظاهر التغير في العادة المستحدثة في التحمس الأهوج وحالات الهوس التي تدعو إلى تفضيل مهرج أو مطرب معين، حركة خاصة في لعبة رياضية، أو طريقة خاصة لتحية الأصدقاء وتنسى هذه الأمور بأسرع وقت .

ويوجد في مجال اللباس نماذج عامة من الملابس حددت العادة الجمعية ارتداءها في مناسبات خاصة مثل حفلات الزفاف والجنازات والرياضة وفي فصول معينة من السنة، وتظل هذه النماذج عرضة للتغير والتنظيم بواسطة العادات المستحدثة ... وبنفس الكيفية تحدد العادات المستحدثة في مجالات السلوك الاجتماعي الأخرى ما لم يعد متبعاً في المظاهر العامة للعادات الجمعية. (1961، Makiver).

والعادة المستحدثة ليست التيار الثقافي في مرحلة زمنية – إنها ليست الاتجاهات المتعمقة الجذور في أي عصر – وإنما هي المظاهر والاصطناعات الأكثر استعداداً للانفصال عن الأشكال الثقافية الأخرى التي يسهل تقليدها وكذلك انتشارها. (1961، Makiver).

والعادات المستحدثة تقع بين العادات الجمعية التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل بيئة اجتماعية، وبين العادات المتفق عليها التي هي غير ملزمة وغير جبرية وضعيفة السلطان على الناس إذا قورنت بالعرف لأنها لم تمس الصالح العام مساساً جوهرياً عميقاً. (دياب، 1980) .

2) عوامل العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة في ريف اللاذقية :

أولاً: وسائل الإعلام والاختراعات: معظم الناس لا يشعرون بهذا الانهمار الزائد والمفرط في هذا الكم المتزايد مما تقدمه وسائل الإعلام الموجودة، وعلى العكس في أغلب الأحيان يبحثون عن مزيد من وسائل الإعلام ويستجيبون بحماس للخيارات المتزايدة، إن السلوك المرتبط بوسائل الإعلام سلوك طوعي، فالناس يختارون أن يكونوا عرضة لوسائل الإعلام.

إن الاختراعات المتتالية التي يتميز بها العنصر الصناعي الحديث التي تتناول أساليب العمل والحياة إنما هي عامل مقاومة شديد الأثر في وجه العادات الجمعية القديمة، ومن طبيعته أن يؤدي إلى عمليات تغير اجتماعي مطرد، يحد كذلك من تكوين عادات جمعية جديدة وحيثما تفقد العادة الجمعية سلطانها تكسب العادة المستحدثة أرضاً جديدة، وهذه الزيادة في مراكز سلطانها اليوم، إذ يرى فيها بعض نقاد عصرنا نذيراً بالانحلال الاجتماعي الذي يمكن إرجاعه إذن إلى التقدم الحضاري الذي زاد من اتصال الناس بعضهم ببعض. (1961، Makiver)

ثانياً: الاتصال الثقافي: إن ازدياد العلاقات بين الريفيين والسكان المدينيين أدى إلى تطور عام للمجتمع الريفي، وإدخال المدنية وعلاقاتها في حياته العملية، وظهرت انعكاساتها في العلاقات الاجتماعية بين أفراد القرية بحد ذاتها في معظم الأقاليم الريفية في الدول العربية. (اللبابيدي، 2000 –2001).

يقول روس Ross: عندما يكون الناس منتمين إلى نوعين أو أكثر من القيم في المجتمع، فإن ذلك يخلق رغبة أكبر لتقبل الأفكار الجديدة عندما يحدث الاحتكاك الحضاري بين مجتمعين. (1956، Ross) .

تدخل العناصر الثقافية الجديدة عن طريق أفراد وباعتناقهم المستمر لها وباستخدامهم إياها تأخذ صفة العمومية تدريجياً عن طريق التقليد أولاً ثم الاقتناع ثانياً، وفي الغالب يُقبل الشباب على الترحيب بمثل هذه العناصر وخاصة إذا كانوا غير مقيدين بمصالح تقليدية يخافون عليها. (غيث، ، 1967) .

إن الزيادة في الانفتاح على العالم خارج القرية، يتمثل في كثرة التردد إلى المراكز الحضرية وتجاوز الصداقة لحدود القرية بل وحدود المركز والمحافظة، وزيادة الاتصال بالمؤسسات الرسمية على اختلاف المستويات، كما يتمثل في الاستماع إلى البرامج الإذاعية ومشاهدة برامج التلفاز والأفلام السينمائية والاطلاع على الصحف. (جوهري، 1980).

يقول بيلز Beals: إن التغير الثقافي يحدث في حالات متعددة منها: عندما تستعير الثقافة عناصر ثقافية من مجتمعات مجاورة. (Beals ،1965) .

ويرى شوقي: أن المجتمعات تتصل بغيرها وتأخذ منها وتعطيها، تعاديها وتهادنها، تسيطر عليها أو تنطوي تحتها أو تتآلف معها، فتحدث درجات متفاوتة من التأثير والتأثر، ونتيجة لهذه الدوافع الداخلية والقوى الخارجية، تتغير المجتمعات بطبيعتها. (شوقي، 1982) .

يقول ساندرز Sanders: إذا كان التحضر Urbanization يعني نمو المدن في الحجم والأهمية مما يدعو إلى تحرك بعض سكان الريف إلى المدن لتكوين علاقات جديدة وشغل مراكز جديدة، فمصطلح الحضرية Urbanism يعني بقاء هؤلاء في قراهم وأخذهم بأساليب المدينة والتحضر، وتقبلهم لنسق القيم الحضرية. (Sanders ،1962) .

إن حركة الهجرة من الريف إلى الحضر لها آثارها ... إذ إن المهاجرين عادة يكونون من الشباب في سن العمل والإنتاج، أو من الشباب الذي يطمح في الانفتاح على العالم الخارجي والمجتمع الكبير من خلال تحقيق أهداف تعليمية .(قطان، 1979).

ويقول ديسلر Dessler: إنه من المحتمل جداً أن يتم تبني العادات الجديدة بسهولة أكثر إذا ما كانت هذه العادات مفيدة ومرغوباً فيها اجتماعياً، وإذا كانت لا تتصادم مع العادات التي تسبقها في الوجود، والتي لا تزال موضع احترام. (Dessler ،1962) .

ثالثاً: عوامل نفسية:

أ) التقليد والاقتداء: الذي يتجلى في ولع المغلوب في تقليد الغالب دائماً، مثال: إن الموضة تنبثق أولاً (في الغالب) من الطبقة الراقية أو الجماعة ذات الحيثية أو المكانة المرموقة التي يكثر مترفوها، فهؤلاء يميلون من جهة إلى خلق واستجلاب نماذج، أو أساليب سلوكية جديدة تتناسب معهم وتميزهم من غيرهم .(دياب، 1980) .

يقول ابن خلدون: إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه إما لنظرة بالكمال، بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي وإنما هو لكمال الغالب ... وذلك هو الاقتداء أو لما تراه. (ابن خلدون، 2005) .

ب) الشعور الجمعي: الذي تنتج عنه علاقات مباشرة، واستجابات عاطفية مشتركة واهتمامات مشتركة تجعل الفرد يشعر أنه يعيش مع الآخرين، وكأنه جزء لا يتجزأ من المجموع أو هو بعبارة أخرى ذلك التجاذب الروحي، والتعارف المتبادل والاندماج النفسي بين أعضاء الجماعة. (دياب، 1980).

ج) عوامل الترفيه أو الترويح: يعد الترفيه بوسائله المختلفة عاملاً أساسياً في إزالة أو تخفيف الأعباء عن أفراد المجتمع نتيجة العمل ومشاغل الحياة، كما يعد تجديداً لنشاطهم للمساعدة على استقبال العمل بروح متجددة وخلاقة، وقد دلت المعطيات الميدانية أن النشاط الترويحي يرتبط بالريف بشكل رئيس ببعض الأنشطة الذاتية كممارسة الشباب النشاط الرياضي بشكل غير موجه، وبشكل تلقائي في ساحات القرية. ومن الممكن أن يكون النشاط الترويحي لسكان الريف نشاطاً تثقيفياً وإرشادياً وترفيهياً في الآن نفسه؛ الأمر الذي يساهم في إحداث التغيير المراد بشكل إيجابي ومحبب، ويساهم أيضاً في إيجاد أرضية خصبة لتقبل التغيير والتحول الاجتماعي في المجتمع الريفي. (الأخرس، 2000) .

كما تتكشف عند الأفراد رغبة في البحث عما يعوضهم عن الإرهاق الذي يتحملونه من جراء خضوعهم زمناً طويلاً للعادات الجمعية والقروية وأسلوب الحياة اليومية الرتيب. (دياب، 1980) .

د) الحاجة إلى التطابق وإلى الجديد من الأشياء: إن تنظيم العادة المستحدثة في تلك الجوانب من حياتنا التي نقف إزاءها موقفاً فردياً متصفاً بعدم الاكتراث، لابد أن يكون مرجعه جماعياً وفي هذا المجال تعمل العادات على التوفيق بين إرضاء مطلبين قويين للإنسان الاجتماعي كثيراً ما يقوم التنازع بينهما في المجالات الأخرى، وهذان المطلبان هما: الحاجة إلى الجديد من الأشياء من جهة والتطابق أو التمشي مع المجموع عندما يكون بوجه العام متمسكاً بالقديم من جهة ثانية.

ومن الوجهة السيكولوجية تتمشى هاتان الحاجتان المتعارضتان منطقياً جنباً إلى جنب وتشدهما معاً العادة المستحدثة، وذلك لأن العادة المستحدثة تحول الرغبة في الجديد من الأشياء إلى فعل اجتماعي. إنها تجعل هذا الفعل الأمر الصائب والسديد بالنسبة إلى المجموع. مثال: "إن التغيرات البسيطة التي يدخلها الفرد على ملابسه المألوفة أو على أية أشكال أخرى من أشكال السلوك تبدو –إلى حين– كما لو أنها كانت انتصاراً له في حين تمده ثورة أقرانه عليه بسبب هذا التجديد بشيء من الشعور بأنه أقدم على مخاطرة مع اطمئنان لعدم استفحال الأمر". (Makiver ،1961) .

يقول نوردسكوج Nordskog: يحاول الإنسان تغيير طباعه وأنماط سلوكه بما يتفق مع التغيرات التي تحدث في عناصر الثقافة، وذلك لأن الطبيعة الإنسانية قابلة للتغير. (Nordskog ،1960).

هـ) عامل التميز: إلا أن عامل الجِدة في العادة المستحدثة يتصل بعامل آخر هو عنصر الامتياز الذي تخلعه الموضة على الفرد الآخذ بها .... وهو امتياز يعلو بالمركز، ويجعل صاحبه مرموقاً ... يُنظر إليه بعين الاحترام والإعجاب والتقدير. (دياب، 1980).

وترتبط الرغبة في التجديد أيضاً بالرغبة في التميز، كما تنجح العادة المستحدثة كذلك في التوفيق بين هذه الرغبة وبين قاعدة التطابق أو التمشي مع المجموع. وفوق ذلك فالعادة المستحدثة تطرح على الناس نموذجاً أو أسلوبا لا زياً موحداً. وفي نطاق الأسلوب أو النموذج يوجد متسع لتغييرات هامة صغيرة يقصد بها التميز الفردي والناس يستطيعون أن يتمشوا مع العادة المستحدثة مع الفارق. (Makiver ،1961).

يقول شفيق: ومن العادات والتقاليد المرتبطة بنمط الإنفاق الاستهلاكي دافع حب التفاخر والتظاهر، والإنفاق المبالغ فيه في مجالات المناسبات الاجتماعية والطقوس التقليدية، كأعياد الميلاد أو الزواج أو الوفيات. (شفيق، 1998).

رابعاً: العوامل الاجتماعية: يقول ماكيفر: إن الطبقة الراقية أو الزمر من ذوات الحيثية تميل –ولاسيما الزمر المترفة فيها وغير العاملة، بما لديها من فراغ ووسائل رفاهية– إلى أن تفرض الأسلوب الجديد (في اللباس مثلاً) ودقائق آداب اللياقة والأساليب الراقية في مجال الرياضة والتسلية بوجه عام وما شابه ذلك.(Makiver،1961)

كما يرى ماكيفر: في المجتمع الحديث تنتشر العادة المستحدثة من طبقة إلى طبقة، حتى أن (الفستان) المصمم في باريس مثلاً يصبح في الحال النموذج الذي يحتل اسمه ورسمه معظم مذكرات الجيب ويختلف ثمنه تبعاً لمستوى حياكته والمادة التي يصنع منها. (1961، Makiver).

فإذا نظرنا إلى الموضة من ناحية وظيفتها الاجتماعية نستطيع أن نقول إنها تعد من الناحية التنظيمية الديناميكية عاملاً كبيراً من عوامل صيانة البناء الاجتماعي، ووسيلة من أنجح الوسائل للانتقال والتجديد والتطوير، فيما يتعلق بأسلوب حياة الناس وطريقة معيشتهم .

وهي تساعد في تخطي مراحل الانتقال التي تفرضها عملية التغير الاجتماعي، كما أنها كثيراً ما تخلق سلسلة من الخطوات التي تمهد لعادات اجتماعية ترسخ رويداً رويداً، ويكتب لها الدوام وبهذا تؤدي دوراً معيناً في صيانة التركيب الاجتماعي وتغير شكله. (دياب، 1980) .

خامساً: العوامل الاقتصادية: فالحياة الاقتصادية تقوم على أساس هام هو الحياة المادية، والأفراد الذين يتألف منهم المجتمع يتوزعون بطريقة خاصة على سطح البقعة التي يعيشون فيها وتتأثر حياتهم وطرق معيشتهم بطبيعة الأرض ونوع الانتاج. (بدوي ،1980) .

ويرى ماكيفر: أن أهم ما يستحق الاعتبار في هذا الصدد التغير الذي طرأ على البنيان الطبقي، وإن ازدياد إمكانية تحرك الأفراد من طبقة إلى أخرى، قد حطم الحواجز الاجتماعية الهامة التي تعترض طريق العادة الاجتماعية، ومن العوامل التي أفسحت مدى انتشار العادة المستحدثة ازدياد الرخاء والفراغ، ولا يرجع هذا فقط إلى أن عدداً كبيراً من الناس يستطيع أن يحاكي أسلوب الأرستقراطيين في المعيشة، وإنما لأن العادة المستحدثة ... تهتم أولاً وقبل كل شيء بتوافر الحياة أو التحسينات الثانوية في ضرورياتها ... (1961، Makiver).

و نظراً لأن العادة المستحدثة تميل إلى أن تؤثر في جميع الزمر الداخلية في نطاق الجماعة المحلية فهي تدخل دائماً كبند من بنود نفقات المعيشة. (1961، Makiver) .

3) وظيفة العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة واتجاهاتها:

أولاً: وظيفتها :

1– اجتماعية: إن العادات المستحدثة هي دعائم جديدة يقوم عليها تراث ثقافي، كما أنها أصبحت قوى توجه أعمال الأفراد وحياتهم، والأفراد يكررون أفضل الأفعال وأكثرها تحقيقاً لأغراضهم ورفاهيتهم ويفضل هذا التكرار تصبح الأعمال والأفعال لأغراضهم والإجراءات عادات تضاف إلى العادات والأعراف الأصيلة التي يعتزون بها، وتقوم الآن مقام عوامل التنظيم والضبط في علاقات الأفراد، ولها وظيفة ضبطية تنظيمية. (دياب،1980).

يقول لينتون Linton: عنصر الفائدة هو الذي يدعو إلى قبول العنصر الحضاري، ولكن الفائدة مسألة نسبية وأمر تقديري، ومعنى ذلك أنه لا يكفي أن يكون الشيء مفيداً فائدة موضوعية، ولكن ينبغي أن يكون متقارباً أو متجانساً مع مجموعة قيم الحضارة القائمة، فكم من نظم واختراعات رفضت وهي على المستوى النفعي الأكبر لأنها تتعارض مع قيم سائدة في المجتمع. (1956، Linton) .

ويرى بارسونز Parsons: أن النسق الاجتماعي يدرك على المستوى العملي كنسق مفتوح يشترك في مجموعة من العمليات المعقدة، المتبادلة مع الأنساق الأخرى مثل النسق الثقافي ونسق الشخصية والأنساق الفرعية الأخرى مثل النسق السلوكي ... الخ. (Parsons ،1968) .

2- الوظيفة الاقتصادية: من أبرز وظائف العادات المستحدثة أنها تسهل على الناس أمور حياتهم، إنها اقتصادية في نتائجها لأنها تختصر الوقت وتقلل الجهد العقلي والتقني الذي يبذل في التفكير في تفاصيل كل فعل يتكرر حدوثه، فالتفكير والعمل بشكل اعتيادي رتيب أمر اقتصادي. (دياب ،1980) .

ويذكر الشرجبي عن أشكال العمل التعاوني في القرية اليمنية ما يلي: بحكم الأعراف والتقاليد، هناك أشكال عديدة للتعاون في القرية اليمنية تتعلق بـ: العمل الزراعي، ومواجهة الكوارث الطبيعية، وإقامة مشروعات عامة تخدم القرية ككل، ومواجهة أعباء مالية معينة كالدية (في حالة القتل)، والمساعدة في الأعراس.(الشرجبي،1990).

يقول حسن علي: يهتم الريفيون في حفلات القران والزفاف بدعوة أهالي القرية من الأهل والجيرة، ولا يقبلون اعتذاراً عن عدم الحضور في كل حفلات الزواج ... حيث يقدمون الهدايا (النقوط) الذي يعتبر دَيناً واجباً للرد في مناسبات مماثلة لدى الغير. (حسن، 1987) .

ويقول خاطر: ليست تقاليد أهل الريف وعاداتهم أموراً عشوائية لا معنى لها كما يتصور البعض، ولكن لها دلالاتها ووظائفها المحددة، وعلى سبيل المثال نجد الكرم، وعادات تقديم الهدايا (النقوط) تدل على التعاون. (خاطر، 1999).

3- وظيفة إرشادية: ترشد الفرد وتهديه إلى التصرف المتوقع منه في مجتمعه وفي حياته بوجه عام، وترشد الفرد إلى الجميل والحسن واللائق من الأفعال والسلوك، الذي يتضح في التعاطف والمشاركة الوجدانية سواء في الأفراح (حفلات الأعراس) أو التعزية في المآتم والوفيات (أسبوع المأتم) .

4- وظيفة التجديد: يعتبر التجديد أولى عمليات التغير الثقافي وهو باختصار عبارة عن تشكيل أو تطوير عادة جديدة... والتجديد ينبع أصلاً من خلال الميكانيزمات السيكولوجية المألوفة للتعلم.(أبو طاحون، 1997)

فهي تجدد في عادات حفلات الزواج ومكانها فتنقل أفراح العرس إلى خارج القرية، كما تنقل التأبين إلى خارج منزل المتوفى (خيم التأبين) ونرى هنا أيضاً عادة ريفية جديدة تتجلى في فصل الرجال عند التعزية في خيم عن النساء اللواتي يعزين في منزل الميت أو أقربائه أو جيرانه بينما يتلاقى عادة الرجال والنساء عند العمل في الأرض وكافة أنحاء القرية ومساكنها .

5- وظيفة ترويحية نفسية: تأخذ حفلات الأعراس في المقاصف أشكالاً ترفيهية متعددة منها الغناء والرقص والدبكة والأنغام المتعددة التي يصدح بها مطرب الحفلة أو مطربوها، ترافقهم فرقة موسيقية يغلب فيها آلة الأورغ والطبل الكبير، كما تمتد على الموائد أنواع الطعام والشراب فيختلط نشاط المدعويين في حفلة العرس بين الرقص وتناول الطعام والشراب فتعم البهجة والسرور ويشعر الناس بالارتياح والانشراح .

وبالمقابل فإن التعزية في الخيم وتوارد المعزين واتصالهم المباشر والمستمر وجهاً لوجه طيلة أسبوع أو ثلاثة أيام ينسي ويسلي أهل المتوفى، ويخفف عنهم صدمة فراق الميت، وتقوم هذه الاتصالات المستمرة بين أهل المتوفى والناس بعملية ترويحية تخفف البكاء وضغط الأحزان وألم الفراق .

ثانياً: اتجاهها :

يقول لوميس Lomis وفيجل Feegle: إن مفهوم التغير لا يعني إلا أحد الأمور الثلاثة: 1- تغيير الأهمية النسبية للأنساق الاجتماعية في المجتمع. 2- خلق أنساق اجتماعية جديدة. 3- تغيير في عناصر الأنساق الاجتماعية وعلاقتها ببعضها، كما يمكن إضافة عناصر جديدة إليها .(Feegle -Lomis ،1975)

إن المتابع لأحوال الجماعات الإنسانية يرى أنه كلما اتجه من الأحوال البدائية إلى الأحوال المتقدمة، وجد أن من مقتضيات الحياة في المجتمع أن تضاف إلى قواعد العادات الجمعية قواعد اجتماعية جديدة للسلوك، وهكذا تتوالى العادات المستحدثة في المجتمعات الإنسانية، ومع ذلك ففي بعض الأحيان تصر العادة المستحدثة على المضي باستمرار في نفس الاتجاه لتنضم إلى العادات الجمعية الأصيلة، وفي هذه الحالة تتكشف بعض العوامل الخفية المفسرة لهذا الأمر، ويترتب على ذلك أحياناً أن تدمر العادة المستحدثة في النهاية العادة الجمعية التي لم تكن في البداية إلا مجرد مستقبلة لمظهر جديد أو ثوب جديد ... وقد تؤدي العادة المستحدثة إلى اختفاء بعض الاتجاهات التقليدية في الفن والأدب والموسيقى، ثم تخلق بدلاً منها اتجاهات جديدة، عادات جمعية جديدة.

وإذا كان من مهام الأسرة التفاعل مع التراث فإننا نرى أن هذا التفاعل تحول إلى تمثل قيم التراث وإعادة صياغتها بشكل يخدم العصر فكثيراً من العادات والتقاليد بقيت في شكلها العام ولكنها تغيرت في مضمونها مثلاً كانت أيام الأعراس في قرى ريف دمشق ثلاثة أيام الآن تقلصت إلى ليلة واحدة وكانت أيام العزاء أسبوعاً كاملاً تقلصت إلى ثلاثة أيام في بعض القرى وفي ساعات محدودة. (قسام، 1998) .

وكذلك في ريف اللاذقية تقلصت أيام العرس إلى ليلة واحدة وفي مقصف خاص يضم جميع الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء، كما تتجه أيام العزاء لتتقلص من أسبوع إلى ثلاثة أيام، وقد تم تنفيذها في بعض قرى ريف اللاذقية .

إن التقاليد محاكاة القدامى والأسلاف، أما العادات المستحدثة فهي محاكاة المعاصرين وهي محبوبة وتستمد سلطانها من صفة الجِدة والمثل يقول: " لكل جديد لذة ". (دياب، 1980) .

يقول المعلولي: أن الدراسات تشير إلى أن الانتقال من مجال تقني إلى مجال تقني آخر لا يحدث بصورة مفاجئة، فالمجال الجديد يولد في قلب القديم، ويمر المجتمع بمؤسساته عبر مراحل انتقال ترافقها بنى انتقالية، الأمر الذي يؤدي إلى تجاورٍ وتعايشٍ بين بنى قديمة وحديثة وانتقالية، ريثما تصبح البنى الحديثة سائدة.(المعلولي،1996).

ولو عدنا إلى كلام ابن خلدون الذي يتعرض إلى تتابع المخالفة في العوائد والأحوال بين المجتمعات عندما يقول: " ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة، فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان، لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة " .(ابن خلدون، 2005).

وبالاستناد إلى كلام ابن خلدون تنتهي إلى القول بأن العوائد تتوالى، فتبدأ بالعادات المستحدثة لتضاف إلى العادات القديمة أو لتزيلها أو لتعدلها، وهكذا يتم تراكم العادات وتستقر القيم الناظمة لسلوك أفراد المجتمعات.

4) مظاهر العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة في ريف اللاذقية

(الأعراس في المقاصف – المآتم في خيم) :

تتنوع مظاهر العادات الاجتماعية في الأعراس والمآتم من مجتمع إلى آخر، ومن قطر عربي إلى آخر، بل تتنوع داخل القطر العربي الواحد، ونعرض فيما يلي بعض هذه المظاهر في **الدراسات السابقة التالية:**

1- جمال المحاسب، علم الاجتماع الريفي، دمشق: دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر 1955.

الأعراس في القلمون: بعد أن يحدد الفتى عروسه، تبدأ المذاكرة بين أهل العروسين لتحديد موعد العرس ونوعه كبير أم صغير، وبعد ولائم تمهيدية عديدة يتم تحميم العروسين بحفلات خاصة والاعتناء بتزيينهما بحفلات خاصة أيضاً (كتحضير الحناء للعروس والاهتمام بحلاقة العريس ...)، ويجتمع الشبان في سبيل (التعليلة) الحافلة بدءاً من المساء، وإذا ما انقضت ساعات ثلاث من الليل يذهب العريس مع صديقين إلى بيت العروس فيراها من الباب وهي (مصمودة) على المنصة بثيابها الجديدة وحولها النساء تزغردن فيتخذ هذه المناسبة ليشكر بيت حميه ويرجع إلى الشبان الذين ينتظرونه لإتمام التعليلة (العراضة) وأثناء ذلك تتوجه العراضات نحو بيت العروس ليقودوها إلى بيت العريس وهي راكبة فرساً وهن ينشدن:

يخلف عليكم يكثر خيركم أنتو المناصب ما مناصب من غيركم

يخلف عليكم يكثر خيركم أنتو الأكارم ما أكارم غيركم

و في الطريق يكثر التصفيق والدبك المنظم، مع حمل الأسلحة، وتغرد النساء قائلات:

جبنا العروس وجينا تسلم يا أفندينا جبنا العروس وجينا خلو العريس يلاقينا

وهكذا يقترب الجميع من دار العريس فيخرج العريس في موكبه يلاقي موكب العروس، وعندما تصل العروس يعطونها قطعة من الخميرة، وهي لا تزال راكبة، فتلصقها على قوس باب الدار، فتدخل ويدخل العريس وراءها في موكبه ولا تدخل الغرفة إلا بخطوات خلفية سائرة إلى الوراء رمزاً إلى أنها لا تترك الدار حتى الموت. فيدخل معها عريسها ويتركونهما راجين للعروسين الرفاه والبنين. (المحاسب، 1955).

2- محمد صفوح الأخرس، أنماط التحولات الاجتماعية في الريف السوري، دمشق: وزارة الثقافة 2000.

أولاً: الأعراس في ريف دمشق: في يوم (الزفة) أي إحضار العروس إلى بيت العريس، يبدأ الاحتفال بعد ظهر ذلك اليوم بحضور الشباب إلى دار العريس والشابات إلى دار العروس وفي المساء يذهب أهل العريس إلى بيت العروس وأثناء مرورهم في شوارع القرية يأخذون بالغناء وبترديد الأهازيج، وعند الوصول إلى دار العروس... يدخل والد العروس أو أخوها ويخرجها وتكون مغطاة بعباءة ويدخلها السيارة وهنا تنطلق العيارات النارية والزغاريد وترافقها أمها أو أختها إلى بيت العريس وعندما تصل يستقبلها العريس وينزلها من السيارة ثم تعطى العروس قطعة من العجين فيها بعض النقود لتضعها فوق باب البيت رمزاً للبركة، فإذا لصقت تفاءل أهل العريس خيراً وإذا لم تلصق يكون ذلك دليل شؤم لأهل العريس، وبعدها يتقدم أحد أقرباء العريس قائلاً: يخلف عليكم عقبال عندكم وإنشاء الله نزوركم بالأفراح. (الأخرس، 2000).

ثانياً: التعزية: بعد انتشار نبأ الوفاة يتم غسل الميت وتكفينه ثم يوضع في النعش وينقل إلى مقبرة القرية وبعد دفن الميت تبدأ أيام المأتم ويذبح فيها أقارب الميت كل يوم ذبيحة ومن ثم تقام (الختمية) التي تستمر من العصر حتى المغرب ويتلى فيها ما تيسر من آيات الذكر الحكيم، ثم يدعى الجميع إلى تناول طعام العشاء، ويقوم الأهالي بتقديم مناسف البرغل والسكر إلى أهل الميت خلال مدة المأتم، ولا فرق بين المأتم المقام من أجل الرجل، والمأتم المقام من أجل المرأة. تمتد فترة التعزية عشرة أيام، تخصص الثلاثة الأولى منها للرجال ويقدم كل شخص ومعه مقدار من السكر وتدار على المعزين فناجين القهوة المرة والشاي، وعند وقت الغداء يدعى جميع الحاضرين إلى تناول الطعام، أما الأيام السبعة الأخيرة من فترة التعزية فتخصص للنساء ولا يقدم للمعزيات شيئاً. (الأخرس، 2000) .

3- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، الطبعة الثانية، بيروت: دار النهضة العربية، 1980 .

أولاً: الأعراس في الريف المصري: تقسم مراسيم الزواج إلى ثلاث مراحل: أ- حفلة إظهار جهاز العروس. ب – ليلة الحنه. ج – الزفاف والدخلة .

ج – الزفاف والدخلة: بعد أن تكتمل زينة العريس، تبدأ زفة العريس بعد زيارة أحد أولياء الله، فيسيرون به بين الشموع والمشاعل، ويغنون ويرقصون الرقص الشعبي بالعصي على نغمات الطبل والزمر إلى أن يصل العريس إلى منزله، ويترقبون جميعاً قدوم العروس، وتحضر أم العروس ابنتها وبعض أفراد الأسرة في موكب يتقدمهم الطبال والزامر، وعند وصول الزفة إلى دار العريس تقابل بالزغاريد والابتهاج وتدخل العروس حجرتها ويدخل بعدها العريس. (دياب، 1980).

ثانياً: التعزية: أما من حيث التصرف في جثة الوفاة، فبعض الشعوب يحفظها قبل أن يدفنها أو يضعها في صندوق من الحجر أو الخشب مثل القدماء المصريين، وبضعها يدفنها في الأرض بعد لفها (بقماش معين) كذلك نلاحظ تغيراً كبيراً في بلادنا في طرق الاحتفالات بالأفراح، وتشييع الجنازات والعزاء، وبعد أن كانت الأفراح تدوم أياماً وأسابيع وتبلغ أحياناً أربعين يوماً أصبحت تقتصر على ليلة واحدة أو ليلتين أو ثلاث، وكذلك المأتم بعد أن كانت التعزية تدوم مدة طويلة تسمح للقاصي والداني من أقارب المتوفي ومعارفه وأقربائه بالحضور شخصياً للعزاء، اقتصرت المدة في أيامنا على ثلاث ليالي أو ليلة واحدة في كثير من الأحيان. (دياب، 1980).

4- علياء شكري، بعض ملامح التغير الاجتماعي الثقافي في الوطن العربي، دراسة ميدانية لثقافة بعض المجتمعات المحلية في المملكة العربية السعودية، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1983 .

أولاً: الأعراس في قرية الطرفين (السعودية): في صباح يوم الزفاف تتزين العروس وتجتمع النساء في بيت والد العروس وتقف النساء صفاً والعروس في الوسط ويقمن الشاعرات بإلقاء القصائد مدحاً بالعروس، وتضرب النساء بالدف، ويستمر هذا ...حتى قبل المغيب بساعة ثم تركب العروس في موكب إلى ساحة بيت العريس وتخرج النساء لاستقبالها بالزغاريد والضرب على الدفوف ويرحبن بها بقصيدة من إحدى الشاعرات وترش العطور ويندمج الصفان ويدخلن إلى البيت ويستمر اللعب (الحفلة) حتى صلاة المغرب، أما الرجال ... فيدخلون إلى مجلس الرجال حيث تقدم لهم القهوة وبعض الفاكهة ثم يقدم العشاء لهم أولاً ثم إلى النساء ثانياً ثم يجتمع القوم في صف دائري حول الزير (برميل سعته من 15 – 20 جالون) يقف الشاعر في الوسط ويلقي قصيدة، وبعد انتهاء السهرة تقوم والدة العريس ووالدة العروس بالدخول إلى غرفة العروس التي تسمى (العلية) حيث يقمن بفرشها ثم يقمن بإدخال العروس ثم تعطى الإشارة للعريس بالدخول، فيأكلون والعريس معهم ويشربون القهوة، ويغادرون الغرفة حيث يبقى العروسان وحيدين .(شكري، 1983).

ثانياً: التعزية: بعد دفن الميت في المقبرة تقدم التعازي من الحاضرين لأسرة المتوفى، ثم يعودون إلى البيت لاستقبال المعزين من القرى المجاورة، حيث يأتي من كل قرية وفد لأداء العزاء، وعند وصولهم يقف أهل المتوفى صفاً لاستقبال المعزين ويبدؤون مرددين (أحسن الله عزاكم) ويجيبونهم: (عظم الله أجركم) ثم يدخل المعزون الدار، وبعد تناول القهوة والتمر يتقدم كبيرهم بالكلام فيذكر أنهم سمعوا بوفاة المرحوم وجاؤوا لرد سنة العزاء، فيجيبهم كبير القرية أو الأسرة فيخبرهم بقصة الوفاة وأسبابها ويشكر لهم سعيهم، ثم يبدأ أحد المتعلمين بقراءة بعض فصول كتاب (رياض الصالحين) المشتمل على أحاديث سيد المرسلين، ليعظ الحاضرين ثم يغادر المعزون المكان، وهكذا ثلاثة أيام. (شكري، 1983).

لقد بينت هذه الدراسات الأربع السابقة أن جميع أماكن الأفراح والأحزان تقوم في ساحات القرى وداخل المساكن، بينما نجد أهل ريف اللاذقية قد استحدثوا أماكن جديدة لقيام الأفراح والأحزان وهي: المقاصف لقيام الأفراح فيها خارج القرى، والخيم لقيام التعزية فيها خارج المساكن. وسنعرض مظاهر هاتين العادتين بما يلي :

أولاً: الأعراس في مقاصف: المقصف في اللغة مكان للأكل والشرب واللهو .(معلوف، 2001).

وتتم هذه الأعراس في المقصف على مرحلتين هما: 1- مرحلة التحضير للعرس. 2- حفلة العرس .

1- مرحلة التحضير للعرس: بعد الاتفاق على الزواج وتحديد يوم العرس، تبدأ الاتصالات بالمقاصف والمطرب المرغوب والمناسب لدخل العريس، وتنتهي بالاتفاق على إقامة الحفلة في اليوم المحدد، ثم توزع بطاقات دعوة على أهل القرية، وقد كتب عليها اسم العروسين ومكان العرس وزمانه، ثم يتم الاتفاق مع عدد من سائقي السيارات العامة لنقل المدعوين من القرية إلى المقصف وبالعكس، كما يتم الاتفاق مع بائع الزهور لتجهيز أكاليل الورود وإرسالها إلى المقصف المحدد عند مغيب يوم الحفلة، ويحجز وقت مناسب عند مزينة أو مزين لتزيين العروس عصر يوم الحفلة، كما يتم اختيار ثوب العروس لاستئجاره ليلة العرس، وأخيراً يتم الاتفاق مع مصور خاص للحفلة .

2- حفلة العرس: عند ظهيرة (أو عصر) يوم العرس، يحضر والد العريس أو أحد أفراد أسرته إلى المقصف ويتأكد من تأمين لوازم العشاء، كما يشرف على توزيع الطاولات، وعند المغيب يحضر أهل العروسين ثم الفرقة الموسيقية ثم المصور. وبعد ساعتين من المغيب تقريباً، يتوافد أهل القرية راكبين السيارات المحجوزة قاصدين المقصف، ثم يتوزعون على الطاولات المعدة لهم، وقد ارتدى الرجال والنساء أبهى ملابسهم، تبدأ الفرقة الموسيقية بالعزف لأغاني شعبية قروية معروفة، وبعد اكتمال حضور المدعوين، يحضر العروسان إلى المقصف بسيارة مزينة، وعند باب المقصف يستقبلهما الأهل بالزغاريد والأهازيج وترافقهم ألحان الفرقة الموسيقية، ثم يدخلان المقصف، فيقف عند ذلك عموم الحاضرين ترحيباً وتهليلاً وهم يصفقون للعروسين، ثم يأخذ العروسان مكانهما على المنصة، فتبدأ عندها الحفلة بغناء المطرب للأغاني الشعبية المشهورة، ويرافقه قارع الطبل الذي يقف وسط ساحة المقصف داعياً الحضور للدبكة، فيشكل الشباب من الجنسين حلقات الدبكة حوله ويرقصون، وتستمر مدة الدبكة من (15 – 20) دقيقة، ثم تتلوها استراحة،

وهكذا تتوالى الدبكات والاستراحات حتى يتم توزيع طعام العشاء على الطاولات الذي يحوي المقبلات المتنوعة ولحم الدجاج المشوي والفواكه، وأنواع متعددة من المشروبات الغازية والكحولية والمكسرات، ثم يتم تناول هذا العشاء خلال استراحة طويلة، وبعد العشاء تتكرر الدبكات من جديد، حتى منتصف الليل تقريباً، فيقوم أهل العروسين بتزيين العروس بحلي من الذهب يتناسب ثمنها مع أحوالهم المادية، ثم توضع طاولة وسط المقصف يجلس خلفها رجل من أقرباء العريس ويتقدم عندها فرد من كل أسرة حاضرة ويقدم مبلغاً من المال يسمى "النَّقْطة" ثم يتجه هذا الفرد مع أسرته إلى العروسين ويقدمون لهما التهاني وتؤخذ الصور التذكارية، وبعد الانتهاء من دفع "النَّقْطة" يغادر بعض الحاضرين المقصف عائدين إلى القرية بالسيارات المحجوزة، ويبقى البعض الآخر لمتابعة الحفلة، وتستمر حلقات الدبكة من جديد ويشارك فيها العروسان أولاً ثم يترك العروسان ليرقصا معاً ويحيط بهما الأهل والأصدقاء وتستمر الحفلة إلى ما بعد منتصف الليل بساعتين تقريباً عندها يتوقف الغناء والدبكات وينتهي الحفل، ويتجه المدعوون إلى العروسين وأهلهما لتقديم التهاني ثم يودعونهم ويغادرون المقصف عائدين إلى القرية بالسيارات المحجوزة، وبعد ذهاب جميع المدعوين ، يتقدم العروسان من أهلهما للوداع ونيل الرضا والدعاء بالتوفيق ويغادرا المقصف إلى منزل الزوجية أو إلى فندق، ويعود أهل العروسين إلى القرية .

ونظهر فيما يلي أهم حوادث هذه الحفلة كإجابات عن الأسئلة المطلوبة :

1–في كل حفلة يوجد مطرب له شهرته وأجره، يختاره أهل العروسين بما يناسب دخلهم.

2–تضم كل حفلات الأفراح الجنسين (ذكور وإناث) في مكان واحد (المقصف) .

3–إن الأعراس في المقاصف هي عادة اجتماعية مستحدثة، لم تصل إلى التعميم والإلزام، إلا أنها تنال القبول والاستحسان وهي في طريقها للانضمام إلى العادات الجمعية الملزمة .

ثانياً: التعزية في خيم: عند حدوث وفاة في القرية، تتم بعد ذلك الإجراءات التالية :

غسل الميت وتكفينه ونقل الجثمان إلى مقبرة القرية حيث يتم دفن الميت ثم يتم تركيب خيمة التعزية.

يقوم قسم من أهل القرية بإحضار خيمة التعزية مع الكراسي والطاولات الصغيرة من غرفة (مستودع خاص) عند شيخ القرية أو المختار، ثم يتم تركيبها على أرض منبسطة وبجانب منزل الميت، ثم ترتب الكراسي والطاولات الصغيرة في داخلها، ثم يقوم شيخ من القرية أو من خارجها بتلاوة آيات من القرآن الكريم أو يتم إذاعتها على مسجل صوت طيلة أيام العزاء. ومن العادات في التعزية أن يقف أهل الميت على مدخل الخيمة لاستقبال المعزين، ويتم بينهم تبادل العبارات التالية: عظم الله أجركم، شكر الله سعيكم، البقية بحياتكم والله يرحمه، الله يرحم أمواتكم.

وتستمر مدة التعزية سبعة أيام، ويقدم في خيمة التعزية القهوة المرة والشاي أحياناً والماء، وفي اليوم السابع من الوفاة يقدم غداء (الأسبوع) لعموم المعزين مكوناً من البرغل المطبوخ مع اللحم واللبن والفواكه، ولكن نوع هذا الطعام قد تغير إلى صفائح (لحم بعجين) مع اللبن والفواكه، وذلك لسهولة التجهيز والتقديم، ثم يجمع أهل القرية مبلغاً من المال ويقدم كمساعدة لأهل الميت، وقد جرت العادة أن يقدم بعض أهل القرية كميات من القهوة والسكر والشاي طيلة مدة التعزية، كما يقوم الجيران بتقديم الطعام لأهل الميت طيلة أسبوع التعزية، ليتفرغ أهل الميت لاستقبال المعزين. بدأت مدة التعزية تتغير إلى ثلاثة أيام، وهي تلقى القبول والاستحسان لما فيها من تخفيف العناء والجهد النفسي والجسدي الذي يتكبده أهل الميت أسبوعاً كاملاً .

إن التعزية في خيم تضيف ميزة جديدة على عادات القرية عندما يتم جمع الذكور في خيم، والإناث في منزل الميت وهي أول حالة من حالات النشاط الاجتماعي القروي يتم فيها فصل الذكور عن الإناث في ريف اللاذقية.

النتائج والمناقشة:

عرفت العادة بالتكرار، كما عرفت بأقسامها الجديدة والقديمة، وانقسمت الجديدة إلى القصيرة في عمرها تزول بسرعة كالموضة، والمستمرة في عمرها ولا تزال قائمة منذ عدة سنوات كالعادات التعاونية المستحدثة في ريف اللاذقية .

كما تميزت العادات الجمعية بما لها من سلطة على الأفراد، وما يقابلها من سلوك، فإن تجاوز العادات الجمعية الأصيلة يواجه بالسخط والاستنكار، كما يواجه تجاوز العادات الجمعية الجديدة الوقتية (كالموضة) بعدم الاكتراث، أما تجاوز العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة فقد بدأ يواجه بالاستغراب والاستفهام .

أما عن التعاون فقد عرف في المجتمعات البدائية، واستمر حتى في المجتمعات الحديثة، وقد استحدث في العادات الجمعية في ريف اللاذقية (كالأعراس في مقاصف، والتعزية في خيم) .

تعددت عوامل ووظائف العادات الاجتماعية التعاونية المستحدثة (النفسية والاقتصادية والاجتماعية)، أما عن اتجاه هذه العادات فقد بدأت كعادات جمعية اتفاقية جديدة، ثم استمرت وطال عمرها، بل أن أهالي بعض القرى في ريف اللاذقية قد بنوا صالات كبيرة بجوارها مطبخ ومستودع، كأماكن جديدة للتعزية بديلاً عن الخيم .

كما أخذ يتزايد بناء صالات الأفراح حتى وصل إلى أكثر من عشر صالات، بين جبلة واللاذقية (الطريق العام) إضافة إلى صالات أخرى داخل القرى.

إن تحويل خيم التعزية إلى أبنية ثابتة، ثم نمو صالات الأفراح وتزايدها، يدل على مدى قبول أهالي ريف اللاذقية لهذه العادات واستحسانهم لها، فهي بهذا تقوى وتشتد، وتتجه للانضمام إلى العادات التقليدية القديمة والامتزاج بها .

الاستنتاجات والتوصيات:

مما تقدم نستنتج ما يلي:

1) إن خصائص هاتين العادتين الاجتماعيتين المستحدثتين (النفسية) التي تظهر في بهجة الأفراح وتخفيف الأحزان في التعزية، وكذلك خصائصهما (الاجتماعية) التي تظهر في توسيع العلاقات الاجتماعية داخل القرية وخارجها تزيد من اتصال مجتمع القرية مع المجتمعات المدينية الأخرى، وبالتالي فإن خصائصهما (الاقتصادية) التي يتم فيها دفع المبلغ التعاوني (النقطة) في الأعراس يخفف من تكاليف الزواج وأحياناً يغطيها أو يزيد عليها، إن هذه الصفات السابقة الذكر جعلت هاتين العادتين مرغوباً فيها عند عموم أهالي ريف اللاذقية، وهما مستمرتان وتزدادان نمواً يوماً بعد يوم.

2) إن هاتين العادتين لا تتعارضان مع قيام المجتمع وتقاليده في ريف اللاذقية، بل تشاركان في صيانة البناء الاجتماعي ونموه وتطوره. يقول الجوهري: إن من سمات التقدم، التحرر من تحكم العادات والتقاليد الموروثة في السلوك وخاصة الضار منها. (الجوهري، 1999) .

3) إن التعاون الذي ظهر في نشاط المجتمعات البدائية، وبعض المجتمعات الريفية العربية، قد استحدث في الأفراح والأحزان في ريف اللاذقية .

4) تترجّح هاتان العادتان في قبولهما بين الرغبة والإلزام، فهما مرغوبتان وملحّتان، وليستا ملزمتين كالعادات القديمة الأصيلة، وليستا هامشيتين كالموضة .

و تظهر التوصيات في الجانبين التاليين :

1- في الجانب النظري: إن الخصائص الإيجابية الغنية لهاتين العادتين التي تم الوصول إليها، ليست كلية ولا نهائية، وندعو الدارسين للبحث عن خصائص جديدة أخرى فيهما لم نتمكن من الوصول إليها، أو الكشف عن عادات اجتماعية مستحدثة أخرى .

2- في الجانب العملي: إن خصائص هاتين العادتين الإيجابية (النفسية والاجتماعية والاقتصادية) تدعو المخططين لدعمهما وتعزيزهما في عمليات التنمية الشاملة في ريف اللاذقية .

المراجع:

1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. *مقدمة ابن خلدون*. الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، 2005، 114-29.

2) أبو طاحون، عدلي علي. *علم الاجتماع الريفي* .المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ،1997، 86.

3) الأخرس، محمد صفوح. *أنماط التحولات الاجتماعية في الريف السوري*. وزارة الثقافة، دمشق، 2000، 99-274.

4) بدوي، السيد محمد. *علم الاجتماع والنظم الاقتصادية*. دار المعارف، الإسكندرية، 1980، 60.

5) جامعة لومومبا. *تشكيلات ما قبل الرأسمالية والمجتمع الرأسمالي*. دار الفارابي، بيروت،1978، 5.
6) جوهري، محمد وآخرون. *علم الاجتماع الريفي والحضري*. دار المعارف، الإسكندرية ،1980، 23–214.
7) حسن، حسن علي. *المجتمع الريفي والريف المصري*. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1987، 173.
8) خاطر، أحمد مصطفى. *تنمية المجتمعات المحلية*. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، 128.
9) دياب، فوزية. *القيم والعادات الاجتماعية*. الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت ،1980، 150–296.
10) الشرجبي، قائد. *القرية والدولة في المجتمع اليمني*. الطبعة الأولى، دار التضامن، بيروت ،1990، 301.
11) شفيق، محمد. *التنمية الاجتماعية، دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع*. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، 24.
12) شكري، علياء. *بعض ملامح التغير الاجتماعي الثقافي في الوطن العربي*. دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983، 304–314.
13) شوقي، عبد المنعم. *تنمية المجتمع وتنظيمه*. دار النهضة العربية، بيروت، 1982، 13.
14) عودة، محمود. *الفلاحون والدولة*. دار الثقافة، القاهرة، 1979، 164.
15) غيث، محمد عاطف. *علم الاجتماع القروي*. دار النهضة العربية، بيروت، 1967، 183.
16) قسام، يحيى سليمان. *القيم الاجتماعية في الريف*. دار المنير، صيدنايا، 1998، 61.
17) قطان،محمد علي.*دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر*.الطبعة الأولى،دارالعلوم،الرياض،1979، 204.
18) اللبابيدي، رندة محمد. *الجغرافية الريفية*. الطبعة الثانية، جامعة دمشق، دمشق ،2001–2002، 117.
19) ماكيفر، وآخرون. *المجتمع*. الطبعة الثانية، ترجمة علي أحمد عيسى، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1961، 144–370 .
20) المحاسب، جمال. *علم الاجتماع الريفي*. دار اليقظة العربية، دمشق، 1955، 114 .
21) المعلوف، لوئيس. *المنجد في اللغة*. الطبعة الخامسة والثلاثون، منشورات ذوي القربى، بيروت، 2001، 634.
22) المعلولي، ريمون. *بنية الأسرة الريفية*. منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996، 11 .
23) BEALS, R. *An Introduction to Anthropology*. 3rd.ed., The Macmillan Company, New York ,1965, 291 .
DESSLER, D. *Sociology, The Study of Human Interaction* .California State College Long Beech, USA ,1969, 3-4.
24) LOOMIS, C; FEEGLE, A. *A Strategy for Rural Change*. Schenkman Publishing Co, Cambridge, 1975, 16-17.
25) LINTON, R. *The Tree of Culture*. Alfred Knopt, New York ,1956, 45 .
26) NORDSKOG, G.E. *Social Change*. Inc New York, Toronto, London, 1960, 94.
27) PARSONS, T. *A Paradigm for the Analysis of Social System and Change from Demerit System and Conflict*. Free Press,. N.Y ,1968, 189 .
28) ROSS, A.*Sociology, The Study of Human Relations*. Alfred Knopt, New York, 1956, 344.
29) SANDERS,I.*Approach to Social Change*. Ed Holt R & Winston,New York, 1962,403.